

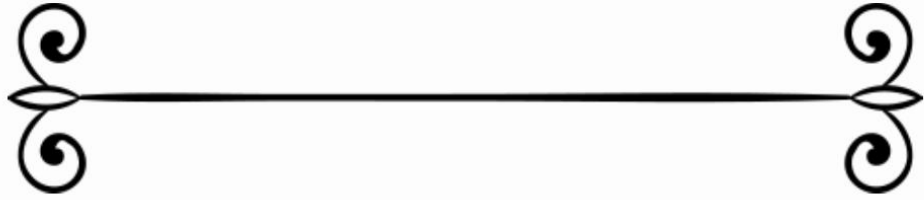
رواية

الندبة الأخيرة

تأليف

عبدالقادر سعد

الفصل الأول



“أشعر بالدوار”

أحسَّ مارك بوخزٍ في عنقه، وقد أرهق عَيْنَيْهِ ضوءُ
المصباح المسلط فوق المكتب. أزاح ببصره عنه،
وفكّر في أن يطفئه ليعطي نفسه قسطاً من الراحة، ثم
خطرت له فكرةٌ أفضل: قرر أن يترك العمل إلى الغد.
رنَّ الهاتف، فرفعه على مهل وأجاب:

- نعم؟

- اسمع، لستُ مهتماً بما تقوم به الآن، أريد أن أتحدث
معك في أمرٍ ضروري.

- ما الذي يمنعني من أن أغلق الهاتف في وجهك؟

- أحمل الدليل.

- ما معنى ذلك؟

- لقد وجدناها!

- حقاً؟ ما الذي...

- لن ينفع الكلام عبر الهاتف، تعال إلى الحديقة خلف
المكتبة العامة.

انقطع الاتصال.



نظر إلى ساعته وقد تجاوزت العاشرة. الجو بارد، و
"ريد" قد تأخر. لم يطق الانتظار داخل السيارة. شعر
برجفة تمزج بين البرد والتوتر، فضمّ يديه حول جسده
كأنه يحتضن نفسه، وزفر بقوة؛ فعكس ضوء المصباح
سحابة بخار كبيرة أشعرته ببعض الدفء. جرب
الاتصال مرة أخرى، لكنه لا يرد! دخل إلى سيارته
ورمى الهاتف على المقعد المجاور، ثم أخرج صورة
تحمل ذكرى تخرج ابنته "بيني" من الروضة...

وفجأةً، صوت طرق على نافذة السيارة!

نزع مارك نظارته ومسح أنفه وعينيه بمنديل، ثم فتح
النافذة وقال:

- لن أدفع المال هذه المرة بلا دليل حقيقي!
ردّ "ريد" وهو يخرج هاتفه من جيبه بعد ان جلس
جواره:
- لقد دفعت ما يكفي...

وبدا يعبث بهاتفه. نظر إليه واستغرب بروده وقلة
كلامه، وقبل أن يسأله، سمع صوت ابنته "بيني"
ينبعث من هاتف "ريد":

(تسجيل صوتي)

- كيف حالك الآن؟

- أشعر بالدوار...

- دعيني أفحص حرارتك يا صغيرتي، هل نمت جيداً؟

انتزع الهاتف من يده وقربه من أذنه، ثم أعاد تشغيل المقطع الصوتي القصير مراراً: "أشعر بالدوار... أشعر بالدوار... أشعر بالدوار..."

أسقط الهاتف، ثم أمسك "ريد" من ياقة سترته وسحبه إليه بقوة وهو يصيح:

- أريد أن أراها! يا إلهي، ما هذا العبث؟! خذني إليها... أعدك، لن يكون المال مشكلة أبداً بالنسبة لي وأنت تعرف ذلك!

- أي وحش تظنني؟! ليس هذا هو السبب!

أفلتَ ريد نفسه من قبضته، ثم قال:

- اهدأ قليلاً ودعني أشرح لك.

انحنى "ريد" ليلتقط هاتفه، ثم قال:

- الإثنين الماضي تتبعنا خيط تحقيق ضعيف أوصلنا
إلى منزل مهجور، فتشناه ووجدنا "بيني" في القبو
مقيدة بكرسي وعليها آثار تعذيب، وهي فاقدة للوعي...

عدل نظارته بارتباك وأكمل:

أخذناها إلى مكان آمن وعالجنا جروحها. لقد كانت
حياة الصغيرة على المحك، ولو تأخرنا ساعات فقط
لكنا فقدناها!

قال بصوت متقطع وهو يحاول أن يستوعب:

- كيف... كيف حالها الآن؟

أجاب "ريد" وهو يسحب سيجارة:

- بخير، ولكن...

زفر الدخان على زجاج النافذة فأصبح منظر العالم
الخارجي مشوهاً ومغشى.

قال مستعجلاً:

- ولكن ماذا؟!!

- حاولنا أن نعرف من الفتاة ماذا حدث لها. في البداية
كانت في حالة صدمة وهذيان وهي تكرر باستمرار:
"أبي... أرجوك يا أبي!".

حاول مارك أن يتمالك نفسه، فأكمل "ريد" وهو ينظر
إلى وجهه بجدية غريبة:

- في البداية ظنناها هلوسات، ولكن بعد أن استعادت
وعيناها بالكامل، أخبرتنا أنها كانت تُعذَّب بشدة من قِبَل
أبيها!

قال متلعثماً بصدمة:

- م... م... ماذا قلت؟!

نفث "ريد" النفس الأخير من سيجارته وقال:

- أعرف، أنا أيضاً أصل إلى طريق مسدود... هل
أخبرت أحداً قبل أن تأتي؟

هزّ رأسه بالنفي هزة بالكاد تُرى، وفمه مفتوح قليلاً
من شدة الدهول.

أطفاً "ريد" سيجارته بكعب حذائه:

- جيد. الآن اسمعني جيداً: لا تخبر أحداً، ولا حتى
الشرطة؛ لأنهم لو سمعوا ما أخبرتنا به "بيني" عما
حدث لها فلن يترددوا في اعتقالك! هل هذا مفهوم؟
- من الخاطف؟!

- وضعنا مراقبة مستمرة قرب المنزل المهجور منذ لحظة إنقاذ الفتاة، وإلى الآن لم يُلاحظ احد.



كانت جيسिका تمسح الطاولة الأخيرة قبل إغلاق المطعم عندما لاحظت دخوله.

لم يستطع العودة إلى منزله ولا النوم في السيارة، وجملة ابنته ترن في رأسه باستمرار: "أشعر بالدوار...". جلس إلى طاولة في المطعم الذي يعتاد زيارته خاصة في الأوقات المتأخرة، وطلب فنجان قهوة. تعمّد أن يأتي قبل الإغلاق بقليل لكي يصطحب جيسिका إلى شقتها ويتحدث معها قليلاً؛ لعل ذلك يعيد إليه توازنه. لم يكن أحدٌ غيره جالساً بعد أن غادر

شابّان لتوّهما، فانتهزت جيسيكا الفرصة وجلست أمامه، فقد لاحظت اضطرابه، وقالت:

- لن أدعك توصلني هذه المرة، وهذا كلامٌ نهائي!

لم يقل كلمة، واكتفى بأخذ رشفةٍ من القهوة، مما أشعر جيسيكا بالإحراج؛ فهي بالنهاية تجلس أمام البروفيسور مارك ساندلر الذي درسها في الجامعة. دفعها ذلك إلى توضيح مقصدها أكثر، فأكملت:

- بروفيسور، أنت تحاول إقناع نفسك بأن خروجك في هذه الأوقات المتأخرة ذو جدوى من خلال إيصالني إلى شقتي، ولكنها...

خفّضت صوتها قليلاً وقرّبت رأسها، ثم أردفت:

- ...ولكنها عادةٌ تتعبك، وفي الوقت نفسه ليست ضرورية لفتاة مثلي.

تفهم مارك الموقف على الفور كي لا يحمرّ خداها
أكثر، لا سيما وقد لاحظ أن زميلها صاحب الكنسة
يبدو غير راضٍ أيضاً، فقال:

- لا داعي لأن تبرري، اعتبريني زبونا عادياً من الآن
فصاعداً.

أنزلت رأسها قليلاً وقالت بصوت خفيض:
- هذه المرة فقط ...

ابتسم، ثم هز رأسه وهو يخرج محفظته.



غرقت جيسيكا بمعطفها وهي تحاول أن تفهم هدوء
أستاذها. نظرت إلى وجهه؛ كان شعره غير مرتّب
وهذا أمرٌ طبيعي، وكان يرتدي جوارب غير متطابقة

وهذا لم يعد غريباً، ولكن... مهلاً، جدتي! لم يسألني عن صحة جدتي! تساءلت باهتمام كونها تعرف أستاذها وقداصة عاداته، بل وتعرفه أكثر من ذلك؛ فقد عملت أكثر من مرة كمربية لطفلة "بيني" أثناء غيابه مع "ماري" زوجته، ولعل هذه الصلة بالذات هي التي جعلته يهتم لأمرها.

كان هذا ما خطر لها مباشرة بعد أن سألت نفسها في المرة الأولى التي أقلّها فيها إلى شقتها: "ربما يخشى عليّ أن يحدث لي مكروه في ظلام الليل مثلما حدث لابنته؟". أسئلة كثيرة جالت في رأسها ومارك لم ينطق بكلمة. شعرت بأنه يخفف من سرعة السيارة ثم توقف،

فقطعت حبال ملاحظاتها وقالت في نفسها:

"حسناً... الآن هذا غريب!".

نظر إليها وكأنه لم يعد قادراً على إخفاء ما بداخله، ثم قال وهو يرفع يده عن المقود:

- مئة وثلاثة وعشرون يوماً يا جيسिका... مئة وثلاثة وعشرون يوماً وأنا أحسب الليالي منذ أن اختفت "بيني"، بعد أشهر قليلة فقط من رحيل "ماري"...

أثرت نبرة صوته كثيراً في جيسिका؛ مما أنساها كل هواجسها وتساؤلاتها، ولم تتجراً على مقاطعته.

أخذ نفساً عميقاً ونظر إلى عينيها وقال:

- أعتبرك جزءاً من عائلتي التي لم يتبقَّ منها غيرك... فهل أستطيع أن أثق بك؟

هزت رأسها وهي تمسح دموعها وقالت:

- أجل، بروفيسور.

أسند رأسه على المقود ولفّ ذراعيه حوله لكي يخفي
ملامح وجهه، ثم قال:

- بعد شهر من اختفاء "بيني" دون أثر، لاحظت أن
المحققين بدأوا يعاملون القضية كالمغلقة، وهذا
أغضبني بشدة وجعلني أبحث بنفسي عنها، حتى التقيت
برجلٍ أخبرني أنه يعرف بأمر اختفاء بيني من الجريدة
المحلية، وأنه يستطيع المساعدة؛ فهو يعمل في جماعةٍ
يمارسون التحقيق بعيداً عن الشرطة ولديهم أساليبهم
الخاصة.

رفع رأسه ونظر إلى الأمام، وأكمل:

- طوال الفترات الماضية لم يُجدّ جديدٌ، حتى إنني
قطعتُ الأمل بهؤلاء الجماعة وظننت أنهم مجرد
مخادعين، إلى أن اتصل بي قبل بضع ساعات
وأخبرني بأنهم وجدوا عزيزتي "بيني" وأسمعني
الدليل!

شهقت ووضعت يدها على فمها وقالت:

- يا إلهي! هل "بيني" بخير؟

رد:

- لا أدري... أسمعني مقطعاً صوتياً بجملة واحدة، أنا متأكد أنه صوتها.

حاولت جيسيكا أن تسأل، لكنه أوقفها وقال:

- أجيبيني فقط عن سؤال واحد.

ردت بصوت متقطع:

- تـ... تفضل...

قال بصعوبة وهو يعرف الإجابة مسبقاً:

- هل تعتقدان بأن الصوت مزيف؟



أغلق باب سيارته بغضب، ووضع رأسه بين كفيه، ثم رفع وجهه إلى السماء وهو يجهش بالبكاء. أراد الصراخ؛ ورغم أنه صرخ داخل السيارة، إلا أن رؤيته لمنزله أعادت إليه تلك الرغبة بشدة!

دخل على مهلٍ واتجه مباشرةً إلى غرفة "بيني"، وتمدد على سريرها وداخله قناعةٌ تامةٌ بأنه خُدع؛ فبعد أن حلل ما قاله "ريد" له، اكتشف على نحوٍ أثار غضبه أن الكلام غير منطقي، وكل ما في الأمر أنهم يريدون وضعه في دائرةٍ من الأمل الأعمى. لذلك اخترعوا فكرة أن "بيني" تتهمه ونصحوه ألا يخبر الشرطة! وما هو دليلهم؟! تساءل في داخله: "مقطع

صوتي؟! كيف لم يخطر لي أنهم يملكون فيديوهات
عائلية كنت قد أعطيتها لهم لكي تسهل عليهم
البحث؟!".

خرج الكلام محموماً من داخله:

- كيف لم أفكر في أن التزييف الصوتي أصبح حتى
الأطفال اليوم قادرين على القيام به؟!!

تساءل وهو يحدق بالسقف:

- لعل صدمة سماع صوت "بيني" أوقفت مناطق
التعقل في دماغي... لا شك في ذلك!

اعتدل جالساً فوق السرير وأخرج هاتفه بيأس، حاول
الاتصال بـ "ريد" وهو يعرف أنه لن يرد، وفعلاً لم
يكن هناك أي رد.

وقف، فشرع يشعر بدوار مفاجئ أرغمه على الجلوس قليلاً، لكنه أبى، واتجه إلى مكتبه وهو لا يزال يرتدي حذاءه وسترته الرمادية التي ما زالت رطبة بالماء.

فتح درج المكتب وأخرج مسدساً كان قد اشتراه قبل أسابيع ثم وضعه على المكتب. جلس على الكرسي بجسدٍ مسترخٍ ودماعٍ مشتت، وأخرج صورة عائلته التي لم تفارق جيبه لحظة ووضعها على المكتب، ثم حاول أن يضع خلفها شيئاً يثبتها بحيث تكون موجهةً إليه.

عاد المطر ليطرق نافذته وشقّ البرق السماء، ولكن رغم ضجيج الخارج، كان داخله أكثر صخباً. وفجأة... رنّ الهاتف.

ومع صوت رنينه، هداً كل شيء.

عندما رأى اسم "ريد"، خطر له اللحظة أن يتجاهله،
ولكن إبهامه ضغط تلقائياً على زر الرد.

- سأرسل لك رابطاً، ادخل عليه فوراً؛ لأنه سيدمر
نفسه ذاتياً بعد عشر دقائق!

رغم أنه لم يفهم، إلا أن يديه هرعتا إلى الحاسوب
المحمول وضغطتا على الرابط.

شاشةٌ سوداء...

مرت بضع ثوانٍ حتى استوعب ما يحدث:

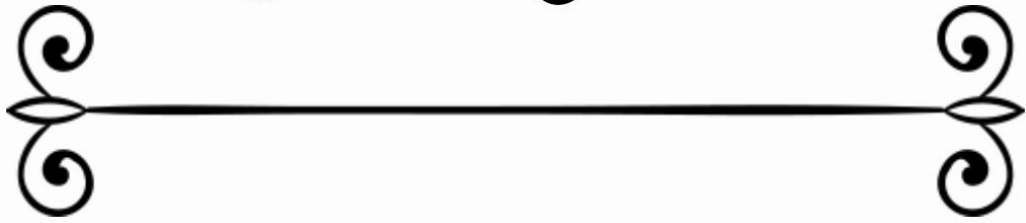
(إنه ببّ مباشر!)

وفجأة... اختفت الشاشة السوداء، وظهرت أمامه فتاة^{٢٨}
نائمةٌ يعرفها جيداً، رغم الندبة الكبيرة التي تنزل من
أعلى جبينها وتمر أسفل عينها لتقطع خدها.
- ب... "بيني"؟!!

تحركت الكاميرا واقتربت أكثر من الفتاة، ومع حركتها
انقلبت بيني الصغيرة على ظهرها؛ مما جعل وجهها
يظهر أكثر وضوحاً تحت ضوءٍ أصفر خافت.

ثم... انقطع البث

الفصل الثاني



“الجسر السابع”

حلّ الصباح ومارك لا يزال في الغرفة الصغيرة داخل
قبو منزله؛ الغرفة التي يحقق داخلها منذ وقتٍ طويل
في قضية ابنته بنفسه.

أعاد ترتيب الأوراق في دماغه، وقرر أنه لن يقف
مكتوف اليدين، وسيفعل ما يستطيع لكشف هوية
الخاطف؛ لعل ذلك ينفع في فهم ما حدث لابنته. أعاد
ترتيب وتنظيف ما كسره في المرة الأخيرة وكُلّه أملٌ
جارف؛ فلم تعد لديه ذرة شك في أن صغيرته لا تزال
على قيد الحياة!

دوّن كل المعلومات التي يعرفها بالتفصيل حول
المقطع الصوتي، والبت المباشر، والمنزل المهجور،
وكل ما قاله "ريد" له. اتخذ قراراً بأنه لا بد أن يعرف
مكان هذا المنزل المهجور —منزل الخاطف— من
"ريد"، ومن ذاك الموقع يبدأ تحقيقه الخاص.

كانت يده تكتب بسرعة مرتجفة، وجسده شبه منهار
من التعب وقلة النوم وهو يحاول استجماع التفاصيل.
دَوَّن على سبورته بالخط العريض الركائز التي يستند
إليها في تحقيقه، ولعل أكبر لغز شغل تفكيره ليس هوية
الخاطف، بل كلام ابنته وأنها تتهمه! كانت هذه النقطة
ترهقه بشدة لدرجة أنه حاول إقناع نفسه بأن أهم ما
يشغل باله هو هوية الخاطف، ولكن سرعان ما تقفز
تلك الفكرة إلى ذهنه مجدداً كالصاعقة!

توقف عن الكتابة وجلس على الأرض، وحوله مئات
الأوراق المتناثرة ومعظمها ممزق، ثم عاد إليه الدوار
من جديد مع نوبات صداعٍ حادة.

لاحظ بصعوبة قطرات دم على الأرض... عيناه
تغبّشان، وعندها أدرك أنه جرح قدمه بقطعة زجاج،
ربما من الكوب المهشم أمامه.

أسند يده على الأرض ودفع جسده ليجلس على
الكرسي، ثم رفع رأسه إلى السبورة وقد كتب كل ما
تذكره. وفجأة... عكف حاجبيه وتغيرت ملامحه،
واجتاحته طاقة غريبة تولدت مع فكرة بدأت تترايط في
دماغه على نحو سريع! شعر خلال تلك الثواني القليلة
بأن جداراً أسمنتياً قد تحطم أمام عينيه وأصبحت
الصورة واضحة أمامه، مما جعل مشاعره تختلط على
نحو جنوني، وقال بصوتٍ بالكاد يُسمع:

- لقد كان الخاطف يجلس بجانبني!

وما إن وصل صوته الخافت إلى أذنه، حتى انتابته
نوبة ضحك هستيرية مرعبة مدوية، جعلته يسقط
أرضاً!



أفاق وأحسَّ بثقل رهيب فوق رأسه. مسح عينيه حتى وضحت الرؤية، فنظر إلى ساعته ليجد أنه مرَّ أكثر من ساعة؛ فقد أدرك أنه فقد توازنه وقت الانهيار. فارتطم رأسه بالحائط، إذ كانت الغرفة ضيقة للغاية.

بدأ يتذكر مباشرةً ما حدث: لم يكن هناك دليل واحد على أن ابنته "بيني" قالت إن أباهما هو من اختطفها! وبإسقاط هذه الأكذوبة، يصبح كل شيء منطقياً وتتربط الخيوط؛ فلا شك أن "ريد" هو الخاطف، ولا وجود لشيء اسمه "جماعة تحقيق خاصة" ولا "بيت مهجور"، هكذا فكر، ليوثق أن هذا "الريد" ربما يكون مجرد خاطف مختلّ يحاول اللعب معه لعبة قذرة.

خرج من الغرفة وهو يعرج، ممسكاً برأسه من شدة الصداع، ودخل إلى الحمام. غسل وجهه وما تزال مشاعره مختلطة، لكنه على الأقل بات يملك الجواب.

نظر إلى ملامح وجهه في المرأة؛ فعلامات الإرهاق
والإنهاك تصرخ بين قسّمات وجهه الشاحب، فقد كبر
كثيراً خلال السنة الأخيرة، كأن الحياة بدأت تعاقبه
جزاءً للسعادة التي غمرته طوال سني زواجه من
"ماري" ولادة "بيني"، وكأنه لم يكن يستحق تلك
السعادة، وعليه أن يدفع الثمن!

حاول أن ينظف جرح قدمه ويلفه بضمادة؛ لم يكن
جرحاً كبيراً، لكن الشظية بقيت في الداخل تؤلمه مع
كل خطوة.

عاد إلى مكتبه، وتحديدًا إلى هاتفه لكي يحسم الأمر مع
"ريد"، ولكنه فكر للحظة في أن الأفضل هو مجاراته،
وَألا يشعره بأنه كشف أمره حتى يحدث لقاءً بينهما،
وعندها سينقض عليه! حينها، أحس بزوال شعور
العار القاسي الذي تملكه لحظة إدراكه بأن الخاطف
كان يجلس داخل سيارته، ولكن في نفس اللحظة، انتابه

غضبٌ عارم من تسرعه قبل خمس دقائق؛ فقد كان
يعتزم الاتصال والمواجهة المباشرة، وهو فعلٌ طائش
لو نَفَّذه لربما فوّت عليه فرصة إنقاذ طفلته للأبد، فمن
يملك القدرة على التنبؤ بأفعال مجنون مثل "ريد"؟!!

اقترب من المكتب ولاحظ اختفاء المسدس؛ فأسرع
يبحث جيداً فوق المكتب وأسفله وفي الأدراج، فلم يجد
له أثر، وعندها صرخ بأعلى ما يستطيع:

- "ريد"... "ريد"! لقد كشفتك!

حاول أن يستجمع قواه وصاح:

- لماذا تفعل بي ذلك؟! ماذا تريد مني؟!!

سحب نفسه بصعوبة وهو يركض عشوائياً في أنحاء
المنزل بحثاً عن أي أثر، صارخاً بأعلى صوته:

- أطلق سراح الفتاة أرجوك، وبعدها اقتلني... خلصني
من عذابي!

جلس على الأرض وهو يقول بصوتٍ أخفض وأكثر
يأساً وحزناً:

- لم أعد أحتمل هذا الجحيم...



جلس عند عتبة باب منزله جلسة استسلام تام، وكأنه
يشعر بأن كل شيء حوله يراقبه، حتى الأشجار التي
تحيط بالمنزل تبدو وكأنها ترصده. فتح هاتفه ولاحظ
تسع مكالماتٍ لم يرد عليها من "كاتلن"، زميلته في
الجامعة؛ ربما اتصلت عندما كان فاقداً للوعي.
لم يعر الأمر أهمية وأزاح بوجهه، وفي لحظتها... رنَّ
الهاتف!

لم يتمالك نفسه؛ إنه "ريد"! فتح الخط وسمع صوته مباشرةً:

- مارك، أظن أننا عرفنا هوية الخاطف ونعتقد بأنك تعرفه... نلتقي قرب البناية القديمة ما بعد الجسر السابع!

ثم أغلق الخط.

لم يستطع أن يفوه بكلمة، ولم يصدق ما سمعه؛ فريد يتكلم كعادته ببرودٍ وكأن شيئاً لم يكن، وقد حدد مكان اللقاء بالفعل!

شعر بحرارةٍ حارقةٍ تجتاح جسده، وتساءل في داخله: "هل يعقل أن ريد مجنونٌ إلى هذه الدرجة؟! أم أنه يهزأ بي؟!".

ذهب إلى المطبخ وسحب سكيناً حادةً أخفاها بين ثيابه، ولم يضيع مزيداً من الوقت؛ ركب سيارته وانطلق إلى الموقع الذي كان بعيداً نسبياً.

وفي أثناء القيادة، رنَّ الهاتف مجدداً... إنها "كاتلن"! لم يستطع أن يفتح الخط؛ فماذا عساه أن يقول لها وكل أفكاره ومشاعره منصبةً بالكامل على ما سيفعله بمجرد أن يقترب من "ريد"؟! رمى الهاتف جانبا... ولكن "كاتلن" لم تتوقف عن الاتصال!

أوقف سيارته في النقطة المحددة قرب البناية القديمة في موقف سيارات فارغ، وبدأت عيناه تجوبان المكان حوله الذي كان نوعاً ما غريباً وأشعره بالدوار. نزل من سيارته وتأكد من مكان السكين، فحركها ليتأكد من أنه لا يوجد ما يعرقل سحبها في اللحظة المناسبة.

أسند ظهره إلى السيارة وضمّ ذراعيه وكأنه يقف على
جمر من شدة صعوبة الانتظار.

وفجأة... رأى رجلاً يرتدي قبعةً وكمامة يقترب منه؛
إنه "ريد"! لا يمكن أن يخطئ بنيته الجسدية الرفيعة
والطويلة؛ كان يمشي على مهل واضعاً يديه في جيوب
سترته، مما أثار غضبه لدرجة أنه حاول جاهداً ألا
يركض إليه ويطعنه! وقف "ريد" على بعد ثلاثة
أمتار، وقد لاحظ انهيار ملامح مارك، ومنها استنتج
أنه ليس في وضع مناسبة إطلاقاً لأي صدمة.
لم يهدر "ريد" الوقت ودخل مباشرةً في الموضوع:
- سوف أريك صورته، لقد عرفنا الخاطف!
اقترب مارك وهو يعرج من "ريد" وقال بصوت
محشور:
- وأنا أيضاً عرفته!

اندفع بكامل جسده نحوه، ويده اليمنى تسحب السكين
والتفت حول "ريد" الذي لم يزد على إخراج يديه من
جيبه بهدوء. وضع السكين على رقبته وأحدث له
جرحاً نزف قليلاً، وقال بتهديد:

- لم يعد هناك مجال للتلاعب... خذني إلى ابنتي!

ردّ "ريد" ببرود:

- توقعتُ ذلك... لست مستعداً بعد.

ثم صعق مارك بجهاز الصعق الكهربائي؛ مما أسقطه
أرضاً، ولم يحتمل جسده المنهك فأغمي عليه.



سألت "كاتلن" الممرضة بارتباك:

- هل استعاد وعيه؟

ردّت الممرضة:

- أجل، منذ ساعة تقريباً.

قالت على عجل:

- يمكنني رؤيته، صحيح؟

دخلت "كاتلن" غرفة مارك وهي مبتسمة لتطمئن عليه، وقالت:

- أين كنت؟! لقد اتصلت بك كثيراً!

ردّ بصوتٍ مبحوح وهو يسعل محاولاً استعادة صوته:
- اشكركِ على اهتمامك.

لم تعرف بمَ تجيب؛ إذ شعرت بحيرة وقالت:

- لقد كنتَ فاقداً للوعي لمدة طويلة! ما الذي حدث؟!
ردّ بصوتٍ متعب:

- أحاول أن أستعيد توازني...

- أنا أسفة، لم أقصد أن أُقلل مما مررتَ به، ولكنني خفتُ عليك كثيراً ذلك الصباح عندما جئتُ إلى منزلك ولم أجد أحداً، ووجدتُ ذلك المسدس على المكتب!

تغيرت ملامحه وفجأةً ملأها اهتمامٌ حادُّ أشعر "كاتلن"
وكانها قالت شيئاً خاطئاً، فتوقفت عن الكلام وهي
تنظر إليه بوجل. اعتدل جالساً على السرير

ثم قال:

- هل أنتِ من أخذ المسدس؟!

ردّت "كاتلن" وقد أشعرتها نبرةٌ صوته بالاستغراب
والحذر:

- خفتُ أن تؤذي به نفسك.

الفصل الثالث

“هل أنا قبيح”

وضعت "كاتلن" المسدس على الطاولة وقالت:
- كنتُ أفضل لو أنك بقيتَ في المستشفى وقتاً أطول.
- لا داعي، أشعر بتحسن.

قالت قبل أن ترفع يدها عن المسدس:

- عدني أنك لن تؤذي نفسك؟

- أخبرتك... كل ما في الأمر أنني سمعتُ صوتاً في
تلك الليلة في منزلي، وخشيتُ أن يكون سارقاً.

لم تكن ترغب في إزعاجه، رغم أنها تعرف أنه لا
يقول الحقيقة. نظرت إلى وجهه قليلاً وهي تتأمل مدى
تغيره منذ وفاة زوجته "ماري" التي كانت زميلتها
وصديقتها المقربة. أما هو بالنسبة لها، فكان أكثر من
مجرد زميل؛ إنه حب حياتها، ولكنه أحبّ ماري بل
عشقها، مما أخذ من كاتلن وقتاً طويلاً حتى تقبلت
الواقع. والآن، مع وفاة ماري في ذلك الحادث المؤسف
وفقدان "بيني" الصغيرة، شعرت كاتلن بمسؤولية

ساحقة تجاهه؛ فلم تعد تهتم بما قد يقوله الآخرون
عنها، فهي ترى بعينيها أنه يعاني فوق طاقة تحمله،
ولا أحد يشعر به، ولذلك تحاول كسر حاجز التوتر
الذي ساد علاقتهما لكي تمد له يد المساعدة.

وقفت واقتربت منه، كان يعبث بهاتفه، وقالت:

- إنه ليس خطأك!

لم يرد، واكتفى بالنظر إليها.

احتضنته وهي تبكي وتقول:

- اسمح لي أن أساعدك... لن أحتمل رؤيتك تنهار هكذا
أمامي!

مدّ ذراعيه حولها وهمس في أذنها:

- من لم يستطع أن يغفر لنفسه، حتى الربُّ لن يستطيع مساعدته!

نظرت إلى عينيهِ، ثم هرعت وأخذت المسدس وهي تنتحب بالبكاء.

لم يقل كلمة؛ وقف ومرت بجوارها مبتعداً إلى غرفته، وأغلق الباب خلفه.



قرعت "كاتلن" باب غرفته عند الساعة الواحدة ظهراً، وأخبرته أن شرطيّين يقفان عند الباب. لم ينتظر لحظة؛ ففتح الباب وقال:

- هل طلبت الشرطة؟

ردت "كاتلن" بالنفي.

خرج إليهم، فطلبوا منه الدخول، فأشار بيده للداخل.

جلس الجميع، ولم يشعر بالراحة لملاح الشرطة
إطلاقاً، كأنه يريد أن يبوح بأمرٍ ويجد صعوبة في ذلك.
فقال مستعجلاً وداخله يشتعل:

- هل للأمر علاقة بطفلي "بيني"؟!!

أشار الشرطة برأسه بحزن:

- نعم...

وضعت "كاتلن" يدها على فمها وشهقت، ثم صاح
مارك:

- تكلم! ماذا حدث؟!!

قال الشرطة الآخر الذي كان يبدو أنه أكثر جرأة من
الأول:

- سيدي، لقد وجدنا جثة ابنتك...

انهار بالبكاء وهو يردد:

- لقد قتل طفلي...

قاطعته الشرطة الأكثر جرأة بحزم:

- أمسكنا بالقاتل!

حاولت "كاتلن" أن تمسكه وهو يصرخ بجنون:
- بسببي! أنا السبب! اعتقلوني أنا أيضاً... اقتلوني أنا
أيضاً!



جلس ينتظر اللحظة التي يدخل بها على "ريد" ليفهم
من ذلك الوحش لماذا فعل بابتته ذلك.

أخبره المحققان أن القاتل يدعى "سايمون" وقد طلب
لقاءه؛ لم يستغرب مارك من أن "ريد" اسم مستعار،
وربما عرف ذلك منذ اللقاء الأول.

رفض أن يرى جسد طفلة حتى يلتقي "ريد"، وها هي
اللحظة تقترب. جاء المحقق وأخذه إلى غرفة التحقيق،

وطلب منه أن يحاول قدر المستطاع أن يبقى هادئاً،
لكنه لم يتكلم.

كان هناك زجاج سميكٌ ومثقبٌ يفصل بين كرسيين
مقابلين، جلس ينتظر حتى يحضروا "ريد" من
زنزانته.

وما هي إلا لحظات حتى دخل رجل بدين، أصلع،
يبتسم بأسنان متعفنة، وكان مكبل اليدين؛ فأجلسوه
أمامه.

التفت إلى المحقق وقال باستغراب:

- أين "ريد"؟!

ردّ المحقق بنبرة رسمية:

- عذراً سيدي، أخبرناك أن اسمه الحقيقي هو
"سايمون".

وقف بعصبية وقال:

- قد يكون أحد أتباعه، ولكنه ليس هو! القاتل الحقيقي
ما يزال حرّاً طليقاً، لقد خدعكم!

ثم فجأةً، وأثناء صياح مارك، قَطَعَ كلامه صوتُ
صغير يقلد نغمة لأغنية أطفال كانت "بيني" تحبها
بشدة! نظر مارك إلى الرجل البدين، فتوقف عن
الصغير، وابتسم بشكل مرعب وقال:
- "سايمون" أراد لقاءك، وليس "ريد"!

كان صوت أنفاسه يخترق الزجاج ويستقر في قاع
أعماق مارك الذي يغلي مع كل نفس يسمعه. كان
وجهه قبيحاً بلا شعرة واحدة، بشرته مجعدة، وعيناه
صغيرتين، وفمه مدور بلا شفاه تقريباً؛ تبرز منه
سنّان، عليا وسفلى، أحدهما مثقوب...
(وكّلما ابتسم، ارتفع صوت أنفاسه كأنها طريقته في
الضحك، كأنه لا يقوى على القهقهة).

تكلم بصوته الذي عكس منظره تماماً، فقد كان ثقيل
اللسان وقال:

- هل أنا قبيح لهذه الدرجة؟!

زاد صوت أنفاسه ثم هدأ، وقال ببرود مقشعر:

- أنت لست مسلياً مثل "بيني"، فقد كانت تخفف عني
كثيراً!

لم يكن مارك قادراً على فعل شيء؛ جسده تشنّج
بأكمله، ولكنه شعَرَ بكل كلمةٍ تخرج من فم "سايمون".

مدَّ "سايمون" ذراعه الأيمن المبقّع وأشار بإصبع
السبابة، يطلب منه تقريب رأسه.

فعل ذلك تلقائياً، وحواسه مفتوحة بالكامل على نحوٍ
غريب.

قال "سايمون":

- لم تنادِ "أبي" مرة واحدة... كانت تطلب أمها
باستمرار!

ثم بدأ نفسه يرتفع وينخفض بعنف.
لم يستطع مارك تمالك نفسه، وبدأ جسده يهتز، أطرافه
ترتجف وعيناه على اتساعهما، حتى لاحظ المحقق
ذلك، فقرر إلغاء اللقاء وأخرجه من الغرفة فوراً.



ظلت "كاتلن" تنتظره عند الممر الخارجي لمكتب
التحقيق، وفور أن رآته، اقتربت وأمسكت بيده، متوقعةً
أن تشدد ملامح الحزن في وجهه أكثر.
أخذته إلى السيارة وجلست خلف المقود، وأدارت
المحرك فسمعتة يقول بصوت خافت:
- أريد رؤية ابنتي...

لم يكن بيد "كاتلن" غير أن تلبي له رغبته؛ فاتجهت
حيث يحتفظ المحققون بجسدها مع أطباء التشريح
الجنائي.

وما إن وصلوا، حتى نزل بخطى بطيئة ووعي غائب
تقريباً، فقادته "كاتلن" إلى حيث يرقد جسدها.

فتح الطبيب الثلاجة، وعندها لم تحتل "كاتلن" المشهد
فخرجت مباشرة من الغرفة. مدّ مارك يده على رأسها
والغطاء لا يزال فوقه، فشعر ببرودة جسدها. رفعه
على مهل، وتعرّف مباشرةً على خصلات شعرها
البنّي الفاتح؛ نفس لون شعر والدتها "ماري".

ظهر وجهها بالكامل. وضع يده على خدها ومرر
إبهامه على الندبة التي تقطع وجهها، وهو يردد
بصوتٍ متعبٍ متقطعٍ وحزين:

- سامحيني... سامحيني، لقد آذيتك بشدة، أنا هو المذنب
الكبير!

أعاد الغطاء، ثم وضع رأسه قرب رأسها وبكى بهدوء
وبدموع حارة متألّمة. وأثناء ذلك، دخلت "كاتلن"
ووضعت يدها على كتفه، بينما كان ينظر إليها
والدموع تنهمر بغزارة، وهو يردد بيأس جنوني:
- أنا هو المذنب الكبير! لماذا لا تفهمون؟! أنا قتلت
ابنتي

الفصل الرابع

“لا تبعدني عنها”

انتشر الخبر في صباح اليوم التالي عبر الجريدة المحلية، وغطت بعض القنوات ومواقع التواصل الاجتماعي الحدث باهتمام بالغ نقل تفاصيل المأساة، وكان أول الناشرين صحفية مشهورة كتبت مقالة بعنوان: "مأساة قضية ابنة البروفيسور مارك ساندلر بعد تحقيق دام أربعة أشهر".

لم يستطع أن يخرج للمعزين، وحبس نفسه في غرفته، بينما تكفلت "كاتلن" و"جيسिका" بكل شيء؛ إذ قررا أن الأفضل هو دفن الفتاة قرب قبر والدتها. حاولت "كاتلن" أن تقنعه بضرورة تواجده أثناء الدفن، وقد نجحت بصعوبة بالغة.

وقف الجميع حول القبر، وأنزلوا التابوت على مهل ليستقر في القاع، وكل ذلك ومارك لم يبدر منه أي رد فعل، كأنه ما زال في حالة صدمة تامة. رفع بصره عن التابوت ونظر حوله؛ لقد حضر الكثير ممن تأثروا بقصة البروفيسور، خاصة من زملائه وأهل بلدته.

لكنه لمح خلف الحضور قبعة يعرفها جيداً؛ كان صاحبها أطول من غيره ويرتدي نظارات. بدأت القبعة تتحرك مبتعدةً، مما دفعه إلى حركة مفاجئة جعلت "كاتلن" القريبة منه تمسك يده، لكن القبعة كانت تبتعد ولم يعد بإمكانه الانتظار أكثر، فقال بكلمات متقطعة وقد أذهب الصمت صوته:

- أشعر بالدوار...

أفلتت يده، فتحرك ليمر بين المعزين وعيناه مثبتتان على القبعة التي بدأت تبتعد بسرعة أكبر. ركض خلفه مهملًا مراسيم دفن ابنته، وهو لا يفكر سوى بالإمساك به. ولكن فجأةً، اختفى بين الأشجار وظهر يمشي على الشارع بمشيته المستفزة! وقف مارك في منتصف الشارع وكأنه حاصر فريسته، ولا يبدو أن لـ "ريد" بقي مهربٌ. ركض بسرعة تجاهه... ولم يشعر بالسيارة التي ظهرت من خلفه!

توقفت السيارة بجانبه، ونزل منها مجموعة أشخاص
باغتوه وخدروه، ثم حملوا جسده المنهار إلى داخل
السيارة.

وآخر ما رآه قبل أن يغلق عينيه تماماً، هو صعود
"ريد" إلى السيارة وجلسه بالقرب منه!



فتح عينيه بصعوبة ليجد نفسه مقيداً على كرسيّ في
غرفة ضوءها خافت. شعر بنوبة صداع حادة مع
إدراكه لما حوله، وتذكر ما حصل: العزاء، التابوت،
القبعة...

نعم، القبعة.

خرجت الكلمة الأولى بصعوبة من فمه، ثم تلتها الثانية
أعلى قليلاً، ثم الثالثة بغضب مكبوت:

- "ريد" ... "ريد" ... "ريد"!

سمع خطوات كعب حذائه، فنظر إلى الأمام؛ إنه هو!
لم يكن يرتدي على رأسه شيئاً، ولم يُخفِ ملامحه؛
شاب في بداية العقد الثالث.

جلس القرفصاء أمامه بساقيه الطويلتين، ومع حركة
جلوسه أنارت الغرفة بضوء أصفر كشف عن المكان
وملامح الشخصيتين بوضوح. كانت ملامحه تعطي
انطباعاً بالخجل، خاصةً مع عينيه اللتين تتحركان
باستمرار، ويديه أيضاً؛ إذ كان عليه أن يضعهما في
جيبه لكي يثبتهما أو يمسك إحداهما بالأخرى.

وما إن تأكد "ريد" من أن مارك استعاد تركيزه
وتوقف عن الهذيان، حتى قال:

- أظن أن سوء تفاهم كبير حصل بيننا، بروفيسور.

ثم تحرك نحو باب الغرفة وطرقه، وفي لحظتها...
أنارت غرفة أخرى مجاورة يفصل بينهما نافذة
زجاجية كبيرة وعازلة.

نظر مارك ولم يصدق ما رآه؛ إنها ابنته! تقف في
الغرفة الأخرى ترسم على سبورة. لم يعد يفهم ماذا
يحدث، فقد جاء لتوه من مراسم دفنها! أطلال النظر
إليها وهو يردد بذهول:

- بيني...!

جلس "ريد" القرفصاء مرة أخرى، وقال :

- أجل... بيني!

عاد مارك لينظر إلى "ريد"، ثم إلى "بينى"، وهو
يحرك يديه المربوطتين إلى الكرسي بقسوة، وخلجات
وجهه توحى بالتوسل، كأن الكلمات فقدت معناها
أيضاً.

اعتمَّ الزجاج الفاصل بينهم، ثم قال "ريد" وهو يضع
يده على كتف مارك، وكلاهما ينظر بعين الآخر:

- كما قلت لك... إنها تتهمك، ولن تستطيع مقابلتها!

بدأ يعلو صوته وهو يصرخ باسم ابنته "بيني"؛ فلم يعد
يثق بكلام "ريد" إطلاقاً، فقاطعه الأخير:

- هذه الغرفة معزولة، ولن تسمعك.

قال بصعوبةٍ وملامحٍ متوسلةٍ:

- لم أعد قادراً على مجاراة هذا العذاب... أنتَ شيطانٌ
خُلِقَ لتعذبي! ما الذي فعلته لكِ تلك الصغيرة؟!!

ردَّ "ريد" وكأنه أُخِبطَ من رد فعل مارك وإصراره
على عدم الثقة به؛ فوقف، والتفتَّ حول الكرسي، ثم
أخرج حقنةً وقال:

- لستُ مستعداً بعد... عليكِ أن ترتاح قليلاً.

كان ردُّ فعله هستيرياً وهو يحاول منع "ريد" ممَّا
يفعل، مردداً بانهيار:

- أرجوك... أرجوك، لا تبعدني عنها!



استيقظ على صوت قطرات متتابعة. نظر إلى يده؛
محلول وريديٍّ مربوطٍ إليه. نظر حوله وبدأ يتذكر:
كانت هناك كاميرا مراقبة في زاوية سقف الغرفة.
وبينما كان متشتتاً، دخل "ريد" وهو يحمل كرسيّاً
وقال:

- لقد غبتَ طويلاً، بروفيسور.

ردّ وهو يحاول أن يستوعب:

- أرجوك... أخبرني أنني لم أكن أحلم بشأن الغرفة
المجاورة!

جلس وشبك يديه وقال:

- لم تكن تحلم؛ والآن، عليك أن تسمعني فقط.

لم يجب، واكتفى بنظراتٍ نصف مفتوحة ومتعبة؛
ورغم أنه لا يثق بـ "ريد"، فإنه لم يجد غير الاستماع
خياراً.

قال "ريد" على عجل، كأنه يفكر بصوتٍ عالٍ:

- عندما انتشرت أخبار العثور على جثة "بيني"، لم أصدق وكنت متأكداً أنهم أخطأوا، ولكن مع تأكيد المحققين، تحولت المسألة بالنسبة لنا من مجرد اختطاف وجريمة إلى مؤامرة كبرى!

ثم سكت قليلاً وأكمل بهدوء:

- نحن لسنا جماعة تحقيق خاصة، بروفيسور... بل جماعة سرية تعمل ضد الاستنساخ البيولوجي! وبكونك البروفيسور مارك ساندلر، العالم الأهم في هذا المجال، فإن اختفاء ابنتك أثار اهتمامنا بشدة.

لم يستطع استيعاب ما يحصل؛ ظل صامتاً يستمع، ينظر إلى فم "ريد" وهو يتحرك، كأن كلماته تخرج من الجدران ومن الكرسي تحته بلا توقف. وفجأة، بدأ يفرقع أصابعه:

- بروفيسور... مارك! مارك!

ثم أكمل "ريد":

- كما قلت لك، لدينا معلومات كثيرة حول حياتك العلمية والخاصة، وأن أبحاثك توقفت بعد زواجك من زميلتك "ماري".

لتفّ برأسه مقاطعاً وقال بصوت محشور:

- أريد أن أرى "بيني"!

صمت "ريد" قليلاً، ثم نظر إلى الكاميرا وأشار برأسه.

كانت تأكل وحدها، وتتكلم مع دميتها، تسألها إن كان الطعام لذيذاً، ثم تضحك...

لم يشح بصره عنها، وقال بنبرة منكسرة:

- هل يمكن أن تحل وثاقي؟

ردّ "ريد" بابتسامة هادئة:

- أنت لست سجيناً، بروفيسور.

ثم دخل رجل ومعه ممرض تلبية لطلبه.

خرج الممرض وبقي الرجل يقف خلف مارك بحذر.

وقف وشعر بصعوبة في اتزان جسده؛ استند على مقبض الكرسي، ثم تقدم نحو النافذة الزجاجية والتصق بها، واضعاً كلتا يديه وجبينه عليها، يراقب أفعال ابنته ويسمع كلماتها الواضحة من ناقل صوت مثبت في الحائط.

اقترب "ريد" منه وتعمد عدم الكلام ليعطيه مزيداً من الوقت مع ابنته، فقال مارك فجأة:

- لم تكن "ماري" توافق على أبحاثي، وكانت تطلب مني باستمرار ألا يرتبط اسمي بهذه "الجريمة الأخلاقية"، كما كانت تسميها...

صدم رأسه بالزجاج بخفة، ثم قال:

- قبل زواجنا حدثت بيننا مشاكل كثيرة بسبب هذا الموضوع، حتى وصل الأمر إلى أنها خيرتني بينها وبين هذا المجال! حاولت أن أفهمها مراراً أنه يرتبط

بشغفي العلمي منذ سنين، ولكنها أبت، ولم تنفع معها كل التبريرات.

أغمض عينيهِ وصمت قليلاً، ثم أتم:

- لم أكن أطيق فكرة أن تتركني، ولهذا قررت بصعوبة أن أتوقف واخترت "ماري"...

قطع كلامه مرة أخرى، وابتلع ريقه بصعوبة:

- لكن جهات مختلفة طلبت مني العودة، وأخبروني أنهم سيمولون كل أبحاثي، وأن اسمي سيتصدر عما قريب مشاريعهم، وهذا أغراني بشدة. أساساً، أنا لم أتوقف عن الدراسة والبحث في المجال سرّاً، لذا قررت أن أتعامل معهم.

أدار مارك ظهره للنافذة وتابع بصوت مرتعش:

- اكتشفت "ماري" ذلك وكان عمر "بيني" وقتها ست سنوات. خرجت غاضبة من المنزل، ولم استطع

اللاحق بها؛ ركبت سيارتها وانطلقت، وبعد بضع ساعات تلقيت خبر تعرضها لحادث...

ظل مارك يقطع كلامه ويصمت، ثم يعود للكلام كثيراً خلال سرده لقصته. وعندما وصل إلى اللحظة التي ذكر فيها وفاة "ماري"، بكى بهدوء لم يكن هستيرياً، وعاد ليجلس على الكرسي مغطياً وجهه بكفيه وهو يردد بحرقة:

- كنت أحمق! لم أتحمل مسؤولية وعدي لـ "ماري"... نعم، كنت متحمساً غيباً!

قاطعه صوت ضحكة "بيني" القادمة عبر السماعة، فتوقف مباشرة عن الكلام ونظر إلى النافذة الزجاجية مطولاً، ثم قال بمرارة:

- الآن أفهم كل كلمة قالتها لي "ماري" وهي تحذرنني من خطورة هذا المجال اللعين!



طلب "ريد" من الرجل الواقف خلف مارك مغادرة
الغرفة، واقترب من مارك، ووضع يده فوق يده وقال:
- أجل، بروفيسور... الفتاة التي دفنتها، وهذه الفتاة
خلف الزجاج، مجرد نسختين لابنتك!

عاد "ريد" ليجلس على كرسيه، ثم قرّبه قليلاً وقال
هامساً:

- سايمون...

نظر إليه كأن للاسم ثقلاً حقيقياً على الأذان، وصدى
مرعباً يثير الترقب والخوف.

أكمل "ريد"، محاولاً أن يكون كلامه أكثر هدوءاً
وتمهلاً لكي لا يضغط عليه أكثر:

- الرجل الذي قتل النسخة الأولى... هل التقيت به؟
ردّ مباشرة:

- أجل.

- ماذا قال؟

حاول أن يخوض النقاش رغم أن صورة "سايمون"
المرعبة كانت تملأ عقله، فقال:

- كان يعرف الكثير...

- هل تعتقد بأن له علاقة مباشرة بالخاطفين؟

- لا أدري...

غير "ريد" جلسته وكأنه سيوجه السؤال الأهم، فقال:

- أعرف أن سؤالي ربما قد يبدو ليس في أوانه،
ولكن... هل أخبرت جهةً معينةً أن زوجتك هي المانع
من مواصلة أبحاثك؟

نظر مارك إليه، وكأن سؤاله قد فتح باباً مغلقاً قديماً
كان يتساءل عنه منذ زمن طويل حول ملابسات وفاة
"ماري"، فقال بصوت مشدوه:

- هل تقصد...؟!!

قاطعته "ريد" بحسم:

- بالضبط... قد يكون حادث "ماري" مدبراً!

لم يكن "ريد" ليدع البروفيسور يتوه بعيداً عن المحور
الأهم، لذا استدرك قائلاً:

- سايمون... هو الخيط الوحيد الذي سيوصلنا إلى
الجهة المسؤولة!

كان مارك قد غاص في أفكار متوالية لا تتوقف منذ
لحظة سماعه احتمال أن يكون هناك من قتل "ماري"،
مما ألقى به في حالة صدمة وضياع أعمق.

- بروفيسور، أرجو أن تركز معي! هل أخبرك
سايمون بأي معلومة يمكن أن توصلنا إلى الفاعل؟!
ردّ بنبرة هادئة وغريبة:

- لا... لم يفعل.

ثم أردف بصوت يخلو من أي مشاعر:
- إذا لم أكن مسجوناً، فأنا أريد الخروج من هنا الآن.
استغرب "ريد" هذا التغيير المفاجئ في نبرته ومن
طلبه الصارم، فقال متسائلاً:

- عليك أن تلتقي بسايمون مرة أخرى، بروفيسور، إنه
خيطنا الوحيد!

وقف، ولم يكن يبدو عليه أنه ينتظر من "ريد" أكثر
من أن يطلق سراحه؛ فلم ينطق بكلمة واحدة. أدرك
"ريد" ثبات موقفه، فقال:

- حسناً، لك ذلك... ولكننا نراقبك، وإن شعرت بوجودنا
حولك فعليك أن تفهم أننا نريد سلامتك لا العكس.
دخل الرجل مرة أخرى ومعه عصا عينية.

نظر مارك إلى "ريد"، فقال الأخير ببلهجة مبررة:

- لا نستطيع كشف موقعنا... كن واثقاً أننا عندما نرفعها
عن عينيك ستكون في أقرب نقطة توصلك إلى بيتك

الفصل الخامس

“هناك تطابق”

دخل إلى منزله، فقفزت "كاتلن" من كرسيها، وأخبرته أنها أبلغت الشرطة للبحث عنه، لكنه اكتفى بجملة خافتة:

- احتجْتُ أن أبقى وحدي...

وبعدها، نزل مباشرةً إلى قبوه، وتحديدًا إلى غرفة التحقيق الصغيرة.

أسند ظهره إلى الحائط، ولم تكن لديه أي قوة حتى ليفكر؛ فجلس مباشرةً على الأرض وحوله أوراقٌ متناثرة توشي بساعاتٍ طويلة من التحقيق والبحث المجهد. وها هو الآن يجد نفسه أمام متاهة أكبر؛ إذ عليه أن يتذكر ويحلل سيلاً من الأشخاص الذين تعامل معهم، علَّ ذلك يوصله إلى الفاعل الحقيقي.

أغمض عينيه... لم يكن يريد فتحهما أبداً؛ أراد أن يبقى هكذا إلى الأبد، لكن الأفكار لا تحتاج إلى رؤية لكي تنهمر على رأسه كالمطر.

(نسختان... وكلاهما معذبتان!)

فتح عينيه، وتساءل في داخله: "من المستحيل أن تُنسخ هذه الندوب تلقائياً بالاستنساخ البيولوجي، إلا إذا كان الفاعل يعتمد تشوييههما يدوياً ليوجه رسالة من خلال وضعها على جسد النسختين!".

سحب هاتفه واتصل مباشرةً بضابط التحقيق لكي يرسل له صور جسد النسخة التي دفنت. لم يرفض المحقق؛ فقد كان متعاوناً معه للغاية منذ اختفاء ابنته. تذكر شكل الندبة على وجه النسخة الموجودة لدى "ريد"...

مهلاً لحظة...!

(هناك تطابق تام!)

حاول جاهداً أن يفك لغز تلك الندوب، وفكر أولاً بالاستعانة بـ "ريد"، ثم تذكر فجأةً أنه من المستحيل ألا يكون "ريد" قد لاحظ هذا التشابه العجيب وهو يملك

إمكانية رؤية النسختين ومقارنتهما! أعادت هذه الفكرة الشكَّ والريبة إلى قلبه تجاه "ريد" وجماعته.

كلما دقق في أماكن الندوب، بدت له عشوائية لا تشير إلى شيء منطقي، حتى توقف قليلاً وقال:

- العدد...!

ندبتان على الوجه... ولا شيء على الصدر... وندبة واحدة على البطن... وست ندبات على الساقين...

2 . 0 . 1 . 6

تراجع قليلاً إلى الخلف، ولم يصدق ما تكتشفه عيناه! خرجت منه جملةٌ لا إرادية مرتجفة، امتزجت بذهولٍ ورعبٍ محتكر:

- إنه تاريخ... تاريخ موت "ماري"!



كلما كشفت القضية لمارك عن وجه حقيقة جديدة،
تعمقت صدمته أكثر، وازداد اندفاعه ورغبته في
الإمساك بالفاعل، وكلُّه أملٌ في أن تكون "بيني"
الحقيقية لا تزال على قيد الحياة.

فكّر أنه من المستحيل أن يكون الفاعل جهة محددة؛
لأنهم إن كانوا يريدون عالماً سليم العقل، فلن يحصلوا
على ذلك بقتل زوجته وخطف ابنته وإيصاله إلى حد
الجنون. ثم وقف وقال في نفسه:

"إنه شخص... شخص يريد أن يدفعني للجنون ولديه
رغبة حقيقية في ذلك!".

لم يكن هناك جواب، فقط أسئلة معلقة تنتظر الخيط
الرابط الذي يجمع كل ما توصل إليه في حزمة أدلة
واحدة تشير إلى اسم بعينه.

جالت عيناه حول المكان هائماً بلا هدف محدد، إلا أن
مجموعة الصناديق القديمة المرمية على الأرض في
زاوية الغرفة لم تكن كأي شيء؛ بل كانت شغفه العلمي

السابق بأكمله مرمياً كأنه نفايات تنخرها الديدان وتبني بين ثناياها العناكب بيوتها بكثافة. ومن إحدى تلك الصناديق برز طرف شهادة تقديرية عليا، كُتب أسفلها اسمه واسم زميله ومساعدته "نولن وايتمان".

وفجأة، انتابه شعور غامر بالغضب عندما بدأت الخيوط تترابط في رأسه، وفكر مباشرةً في مساعدته المقرب في أبحاثه "نولن". وعندما وضع اسم زميله على السبورة، أصبح كل شيء منطقياً!

وقال بصوت خافت مسموع:

- مهلاً لحظة... "أراد أن يزيحني ليكمل على أبحاثي من خلال فضحي أمام زوجتي أولاً، ثم قتلها، وبعد ذلك خطف ابنتي... ولعب معي هذه اللعبة القذرة فقط لكي يسرق كل شيء وينسبه لنفسه!".

رفع رأسه ونظر إلى سبورته وقد توسطها اسم "نولن وايتمان".

خرج من القبو ولم يعد يرى بعينيه أحداً؛ ذهب يبحث
عن "كاتلن" ليجدها في صالة المنزل ويدها على
جبينها، فقالت برعب:

- يقال في الأخبار إن "سايمون" قد هرب أثناء نقله
لسجن آخر!

إذا كان هناك خبر يمكن أن يجعله ينشغل بأمر غير ما
توصل إليه حول زميله، فسيكون حتماً خبر هروب
"سايمون".

تسمر في مكانه، وأحس بخدر في أطرافه كالذي
حصل له عندما التقى بـ "سايمون"، مما دفعه إلى
الجلوس. ظل صامتاً و"كاتلن" تشاركه صمته، وفجأةً
وقف أمامها وطلب منها طليين واضحين لا نقاش
فيهما، وقال:

- أين وضعت السلاح؟

ردت بارتباك:

- لماذا؟!!

قال بتعجل:

- عليك أن تتركي المنزل الآن! قد أكون أنا هو هدف "سايمون" الآخر.

حاولت أن تتكلم، ولكنه أوقفها بحزم وقال:

- إذا دخل هذا الوحش عليّ، فلن ينفعني غير المسدس! أشارت إلى أسفل الأريكة.

سحب السلاح وتأكد من وجود الرصاصات، ثم قال:
- غادري المنزل حالاً!



دخل سيارته، ووضع المسدس على المقعد المجاور.
حاولت "كاتلن" إيقافه، ولكنه منعها وقال لها إن المكان لم يعد آمناً، ثم انطلق وهو يعرف وجهته تماماً: شقة زميله القديم "نولن". كان مكان سكنه بعيداً، لكن مشاعره المتخبطة حين خالطها الغضب جعلت زمن الطريق يبدو أقصر بكثير.

أوقف سيارته قرب البناية، ثم خبأ السلاح ونزل بخطى ثابتة باتجاه المدخل. لكن سيارة توقفت فجأة بجانبه، ونزل منها رجال لم يستطع مقاومتهم؛ فخدروه وأركبوه معهم ثم انطلقوا.

فتح عينيه ليجد "ريد" أمامه، وما إن استوعب ما حصل حتى بدأ يصرخ بشدة:

- لقد كنت قريباً منه! هذا المجرم قتل زوجتي ويختطف ابنتي... لقد دمر حياتي!

حاول "ريد" أن يهدئه فقال بصوت عالٍ:

- نعرفه، وراقبناه؛ فهو الشخص نفسه الذي وجدنا عنده النسخة التي لدينا!

توقف مارك عن الكلام وقال:

- ماذا؟!

ردّ "ريد":

- أجل، كما سمعت، هو صاحب المنزل المهجور الذي وجدنا به "بيني" النسخة الأولى.

ردّ بعصبية أكبر:

- ولكني كنت قريباً من أن أمسك به! أردت أن أعذبه بيدي قبل أن أقتله، لماذا منعتموني؟!

قال "ريد" بنبرة حاسمة:

- اسمع يا مارك... إنه يعمل لجهة حكومية تابعة لبلده، تؤدّج العلم وتتحكم به؛ وهي من أرسلته ليكون زميلك في أبحاثك منذ البداية! أرادوا أن تُجنّ لكي يُنسب هذا الإنجاز العظيم بنظرهم إلى ابن بلدهم، دون أن يصطدموا بعالم يرفع عليهم القضايا ويفضح فسادهم ذو التاريخ الطويل.

قفز مارك بعد أن استوعب حجم الكارثة التي تحيط به ومن هم أعداؤه الحقيقيون، فوقف وقال بصوت متهدج:

- لم يعد يهمني شيء... أريد أن احتضن ابنتي فقط!
تحرك باتجاه الباب، فحاول "ريد" منعه، فبدأ يتوسل
إليه ويقول بانهيار:

- هل أطلب الكثير؟! أريد فقط أن احتضن ابنتي!
ردّ "ريد" بنبرة مشفقة:

- أرجوك توقف... أعلم أنها نسخة، ولكن ربما يكونوا
قد أروها صورتك باستمرار! هل تتذكر حين قلت لك
إنها تتهمك؟!!

بدأ مارك يبعد "ريد" بيديه ويدفعه بعنف، وهو يردد
ويبكي بمرارة:

- لا يهمني ما فعلوه... ابتعد عني!

فتحه الباب وخرج إلى الغرفة المجاورة. وقف أمام
المدخل للحظات، ثم لفّ المقبض ليرى نسخة ابنته
تجلس أمامه؛ ظهرها إليه ووجهها إلى الجدار تلعب
وحدها.

لم يكن يريد أن يصدر أي صوت وهو يقترب منها
على مهل؛ كانت تدندن نغمة أغنيتهما المفضلة،
وظفائرهما البنية تهتز مع كل حركة.

جلس خلفها، وقال بنبرة متألّمة خرجت مع كلماته
بصعوبة بالغة وهو يضع يده المرتجفة على كتفها:
- صغيرتي... "بيني"...

لفت "بيني" رأسها، وما إن رأت وجهه حتى صرخت
بأعلى صوتها، وتغيرت ملامحها اللطيفة فجأة إلى
طفلة مرعوبة ترى أسوأ كوابيسها! ركضت باتجاه
زاوية الغرفة، تطلب أمها وتبكي بهلع.

ثم... كأن "ماري" ظهرت من العدم، واحتضنت ابنتها
"بيني"، وكلاهما تنظران إلى مارك بنظرات ملؤها
الرعب!

ظل واقفاً مصدوماً، لا يتحرك فيه ساكن. مدّ "ريد" يده
حوله ومعه رجاله، فسحبوا جسده الذي بدا كأنه قد
فارق الحياة، بينما ظلت عيناه الثابتتان لا تحسان

حراكاً، معلقتين بـ "ماري" وهي تحتضن "بيني"
بخوفٍ شديدٍ

الفصل السادس

“أنا المذنب الكبير”

دخل الممرض وقال متبرماً:

- عذراً، دكتور... إنه الشاب نفسه؛ يقول المرضى إنه
يزعجهم، ويطلبون وضعه في غرفة بعيدة عنهم.
- لماذا؟

- لا أدري... كالعادة، يبقى طوال الليل يكلم الكرسي
ويترجاه أن يأتي له بشكل أمه.
- حسناً، انقله إلى غرفة أخرى.

وبعد أن غادر الممرض، نظر الطبيب إلى المحقق
وقال:

- لنكمل... أين وصلنا؟

رد المحقق وهو يقلب الأوراق:

- حسناً... بعد أن كشفت زوجته أمره، غادرت المنزل غاضبة وتعرضت لحادث، وعندها دخل في مرحلة صدمة واكتئاب حاد. وهذا انعكس سلباً على تعامله مع الجميع، بما فيهم طفله التي سقطت من أعلى الجسر السابع؛ كانت خارجة معه عندما طلبت منه أن تنزل من السيارة لشعورها بالدوار. ولكن، لا يُعرف حقاً هل انتحرت أم أنها سقطت بالخطأ! أكدت لنا مربيتها أن "بيني" تعاني من دوار اثناء ركوب السيارات، وهذا جعلنا نضع سيناريو يفيد بأن الطفلة شعرت بالدوار فطلبت النزول والاستراحة، لكنها نزلت وحدها في نقطة خطيرة من الجسر، مما يرجح أنها سقطت بالخطأ.

توقف المحقق قليلاً ينظر إلى الأوراق ثم قال:

- هل أخبروك بجديد؟

رد الطبيب بأسف:

- إنه يخلط بين الواقع وبين شخصيات من خياله، مثل "ريد" و"سايمون"، ليلقي عليها اللوم، ثم سرعان ما يتهم نفسه، ولكنه لا يلبث حتى يحول قصة موت عائلته إلى مؤامرة حكومية خارجية!

قال المحقق وهو يحك ذقنه بتمعن:

- ولكنه بروفيسور ذو شهرة عالمية، وأبحاثه في مجال الاستنساخ البيولوجي تلقت اهتمامات واسعة.
رد الطبيب مؤكداً:

- هذه هي المشكلة؛ نحن نتعامل مع دماغ ضخم مليء بالمتاهات! مع كل قصة يطرحها يذكر أسماء لا وجود حقيقي لها، وأحياناً يتكلم من منظور "ريد"، وأحياناً من منظور "سايمون".

- ألم تكن نوبات هلوسة مستمرة؟ قلت لي إنه أحياناً يعرف نفسه.

- أجل... وعندها يكون في حالة من لوم النفس وحزن شديد لا يطاق.

طلب المحقق أن يرى حالته، فأخذه الطبيب إليه؛ كان
جالساً في حديقة المستشفى وحده، ينظر إلى بقية
المرضى بلا أي اهتمام.

اقتربا منه، فقال الطبيب باختبار هادئ:

- مع من أتكلم الآن؟ ثم أتبع بسؤال: من أنت؟

نظر إليه البروفيسور بملامح فارغة وميتة، وقال
بصوت خافت:

- أنا... المذنب الكبير!